رابط المادة على منصة باحث

تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 1- سورة محمد | من الأية 1 إلى 3

عبدالرحمن العجلان

الصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين. وبعد سم الله اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد - 00:00:01

كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم هذه الايات الكريمة هي اول السورة المسماة - 00:00:36

في سورة محمد صلى الله عليه وسلم وتسمى بسورة القتال وتسمى بسورة الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وهذه السورة مدنية اي نزلت بالمدينة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم - 00:01:14

من مكة الى المدينة والاصطلاح المشهور بين العلماء رحمهم الله في تقسيم السور الى مكية ومدنية ان ما نزل بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة يسمى مدني - 00:01:51

حتى وان نزل بمكة او في الاسفار والغزوات يسمى مدني وما نزل قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة الى المدينة يسمى مكي ولو نزل خارج مكة فهذه الاية - 00:02:23

اي هذه السورة باياتها نزلت بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة فهي من السور المدنية قيل الا اية وهي قوله جل وعلا وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك - 00:02:55

اهلكناهم فلا ناصر لهم قيل هذه نزلت في مكة قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وقد نزلت على النبي كما قيل حال خروجه من مكة الى الغار ليريد الهجرة - 00:03:26

وقد نظر صلى الله عليه وسلم الى البيت شرفه الله وهو يريد الهجرة فبكى عليه الصلاة والسلام شوقا وحنينا الى بيت الله الحرام فانزل الله جل وعلا عليه وكأين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك - 00:03:45

اهلكناهم فلا ناصر لهم وكأن فيها بشارة النبي صلى الله عليه وسلم بانه سيعود الى مكة قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت سورة القتال بالمدينة وعن ابن الزبير نزلت بالمدينة سورة الذين كفروا - 00:04:11

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بهم في المغرب الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله هذا هذه ادلة اسماء السورة يسمى سورة محمد - 00:04:44

وسورة القتال وسورة الذين كفروا. وحديث ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بها في صلاة المغرب انه يحسن قراءة سور طويلة في صلاة المغرب احيانا - 00:05:08

كما ورد ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ مرة في صلاة المغرب بسورة الاعراف فلا يقتصر دائما على قصار السور وانما يقرأ احيانا من الطوال الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم - 00:05:30

قال بعض المفسرين رحمهم الله اول هذه السورة مرتبط باخر السورة التي قبلها وهي سورة الاحقاف وهي قوله جل وعلا فهل يهلك الا القوم الفاسقون كأن قائلا يقول من هم القوم الفاسقون؟ فقال الله جل وعلا الذين كفروا وصدوا عن - 00:05:55

سبيل الله وما المراد بهم المراد بهم كفار قريش وقيل المراد بهم من كفر من اهل الكتاب وقيل المراد بهم كل من اتصف بهذه الصفة

التي هي صفة الكفر ومعنا - 00:06:28
صدوا عن سبيل الله يعني صدوا انفسهم وصدوا غيرهم فاصحاب الشر قد يكون فيه شر على نفسه وهذا شر كتارك الصلاة مثلا اخر شره على نفسه وعلى غيره كالمانع لمن اراد ان يصلي - 00:06:59
والمتهكم بمن اراد ان يصلي او المستهزئ او الساخر فاذا كان شره على نفسه فذلك شر واشر منه من تعدى شره الى الغير كافر لا يؤذي المسلمين شر كافر يتسلط على اذى المسلمين اشر منه - 00:07:33
الذين كفروا وصدوا منعوا غيرهم من الدخول في الاسلام وصدوا عن سبيل الله سبيل الله الاسلام واتباع هدي محمد صلى الله عليه وسلم اظل اعمالهم اظل اعمالهم بمعنى احبطها ما المراد بهذه الاعمال - 00:08:02
قال بعض المفسرين المراد بها الاعمال التي يتصورون انها خير ويتقربون بها الى الله كالاحسان الى الفقراء والمساكين وخدمة المسجد الحرام اكرام الضيف وفك الاسير واجارة المظلوم ونحو ذلك من الشيم - 00:08:40
التي يفعلها كفار قريش على انها شيم ومروءة واخلاق فاضلة ويتصورون انها تنفعهم عند الله في الدار الاخرة والمرء لا ينفعه في الدار الاخرة اي عمل ما دام كافرا قد يقول قائل - 00:09:19
وهل يذهب المعروف والفضل والخير الذي يفعله الكافر في الدنيا نقول لا لا يذهب ولا يستفيد منه في الدار الاخرة وانما يستفيد منه في الدنيا يثيبه الله عليه في الدنيا بالصحة والعافية والمال والولد والجاه وغير ذلك من - 00:09:52
امور الدنيا ولا يبقى له حسنة في الدار الاخرة اعمالهم اي الاعمال التي يظنون انها تنفعهم كما في قوله جل وعلا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا - 00:10:24
هذا قول القول الاخر اظل اعمالهم يعني صارت اعمالهم كلها في ظلال وصارت تصرفاتهم سيئة يعود وبالها عليهم اي عمل يعملونه فهو في ظلال وخسارة وهلاك ولا يستفيدون منه. سواء كان من الامور التي - 00:10:53
يتقرب بها الى الله ام امورهم العادية تصرفاتهم فاي عمل او اتفاق يتفقون عليه او مؤامرة يتآمرون بها ضد النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه انها تكون في ضلال وخسار ويعود - 00:11:32
ضررها عليهم ويسلم الله جل وعلا رسوله والمؤمنين منها اظل اعمالهم مثل اتفاقهم اتفاقهم على قتل النبي صلى الله عليه وسلم ليلة خروجه للهجرة. عليه الصلاة والسلام ظنوا انهم بهذه المؤامرة - 00:11:56
قد احكموها وسيحصلون على ما ارادوا وصارت خزي وفضيحة لهم وما نالوا منها خيرا. وسلم الله جل على رسوله صلى الله عليه وسلم منها اظل اعمالهم والذين امنوا وعملوا الصالحات - 00:12:27
وامنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم والذين امنوا ما المراد بهم قيل المراد بهم الانصار رضي الله عنهم الذين اووا النبي صلى الله عليه وسلم - 00:12:59
والمهاجرين وواسوهم باموالهم وممتلكاتهم وقيل المراد بهم الذين امنوا من اهل مكة بهجرتهم مع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقيل المراد بهم كل مؤمن امنوا وعملوا الصالحات اذا ذكر الايمان وحده - 00:13:27
شمل الاعتقاد والقول والعمل واذا ذكر العمل الصالح وحده شمل الامور الثلاثة واذا ذكرا معا فالمراد بالايمان عمل القلب والمراد بالعمل الصالح عمل الجوارح القول والفعل والذين امنوا بقلوبهم صدقوا - 00:14:05
واخلصوا العمل لله جل وعلا والذين امنوا وعملوا الصالحات عملوا الطاعات تقربوا الى الله جل وعلا بالاعمال الصالحة بالاعمال الحسنة وامنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم الا يشمل قوله - 00:14:46
والذين امنوا وعملوا الصالحات يشمل من امن بمحمد وما نزل عليه يشمل اذا هذا يسميه العلماء رحمهم الله من عطف الخاص على العام الخاص وامنوا بما نزل على محمد والعام والذين امنوا وعملوا الصالحات امنوا وعملوا الصالحات من ظمنه الايمان بما نزل على محمد - 00:15:17
وامنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم من عطف الخاص على العام من باب التأكيد والعناية في هذا المعطوف قل من كان

عدوا لله وملائكته وجبريل وميكال جبريل وميكال عليهم الصلاة والسلام اليسوا من ظمن الملائكة عليهم الصلاة والسلام؟ بلى - 00:15:50

ولكن هذا من عطف الخاص على العام من باب التأكيد لانه ورد ان اليهود ارسلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم قالوا من الذي يأتيك بالوحي قال جبريل قالوا لو كان غير جبريل لاتبعناك لكن جبريل عدو لنا - 00:16:26

انزل الله جل وعلا قل من كان عدوا لله وملائكته وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد ما هو القرآن نزل على محمد - 00:16:55

وفي قراءة وامنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم. هذه الجملة يسميها العلماء جملة اعتراظية لوصف ما نزل على محمد الذي هو القرآن وهو الحق من ربهم حق - 00:17:19

يعني هو ناسخ لما سواه ولا ينسخه غيره هو حق ثابت هو نسخ ما قبله ولا يأتي شيء ينسخه وهو الحق من ربهم الصدق واليقين ولا مجال للشك فيه الف لام ميم ذلك الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين - 00:17:43

كفر عنهم سيئاتهم هذا هو الخبر والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم الخبر جملة كفر عنهم سيئاتهم كما في خبر الجملة الاولى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله خبرها اضلا - 00:18:21

اعمالهم يعني الجملة كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم كفر عنهم سيئاتهم كفرها بمعنى سترها ومحاها وعفا عنها سواء كانت هذه السيئات قبل الايمان والعمل الصالح لان من الصحابة رضي الله عنهم - 00:18:47

من هو كان كافرا قبل ان يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا الذي حذره عمرو بن العاص رضي الله عنه لما جاء ليبايع النبي صلى الله عليه وسلم على الاسلام - 00:19:20

ومد يده فمد النبي صلى الله عليه وسلم يده ثمان عمرو كف يداه وقال لما يا عمرو؟ قال اردت ان اشترط قال تشترط ماذا؟ قال ان يغفر لي ما سلف - 00:19:42

لانه رأى انه عمل اعمالا شنيعة قبل ان يسلم ويخشى ان يبقى عليه اثرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما علمت يا عمرو ان الاسلام يهدم ما كان قبله وان الهجرة تهدم ما كان قبلها او - 00:19:57

كما قال صلى الله عليه وسلم كفر عنهم سيئاتهم سواء كانت قبل اسلامهم او في حال الاسلام لان الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر - 00:20:20

وعند وضوء المرء اذا غسل وجهه تناثرت وتساقطت كل خطيئة نظرها في عينيه فاذا غسل يده تساقطت كل خطيئة بطشتها يداه وهكذا الوضوء يكفر الخطايا والصلاة تكفر الخطايا. والخطوات الى المساجد تكفر الخطايا وهكذا - 00:20:46

ودل هذا على ان هؤلاء الذين نوه الله جل وعلا بذكرهم واثنى عليهم انه يحصل منهم خطايا يحصل منهم ذنوب فيغفرها الله جل وعلا وكما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم - 00:21:21

يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم وقال الله جل وعلا وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والارظ اعدت للمتقين الذين ينفقون في في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا - 00:21:47

انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ذكرهم الله جل وعلا مع ما يصدر منهم الا انهم يستغفرون فيغفر الله لهم كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم مقابل اولئك اظل اعمالهم وهؤلاء كفر الله عنهم سيئاتهم واصلح بالهم - 00:22:11

اصلح بالهم قيل اصلح احوالهم يعني امورهم امور الدنيا والاخرة اصلح بالهم اصلح شأنهم اصلح بالهم اصلح نياتهم قال مجاهد اصلح شأنهم وقال قتادة اصلح حالهم وقال ابن عباس اصلح امرهم - 00:22:42

والمعاني هذه الثلاثة متقاربة وقيل المراد البال الحال ها هنا اي اصلح احوالهم انها صارت جميع احوالهم الدينية والدنيوية على خير ما يرام وقيل هو القلب يعني اصلح قلوبهم وهو ايبالهم كالمصدر - 00:23:19

فلا يعرف يعرف منه لا يعرف منه فعل ليس له فعل هذا هذه الكلمة بال ليس لها فعل. قالوا ولا تجمعه العرب الا في حال الظرورة. ظرورة الشعر يقولون بالات - 00:23:50

والاصل انها تكون مفردة بهذا اللفظ وقال بعضهم البال رخاء العيش يعني جعل عيشهم رغدا ويقال فلان رخي البال اي حسن الحال والبال الحوت العظيم من حيتان البحر والبالة القارورة - 00:24:12

والجراب ووعاء الطيب وموضع بالحجاز مكان كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم ذكر الله جل وعلا النوعين الكفار اولا وحالهم ومآلهم وذكر جل وعلا بعد ذلك المؤمنين وحالهم ومآلهم وما اعده لهم - 00:24:40

لينظر العاقل وليتأمل الفرق بين هذا وهذا يقول تعالى الذين كفروا اي بايات الله وصدوا غيرهم عن سبيل الله اظل اعمالهم اي ابطلها واذهبها ولم يجعل لها جزاء ولا ثوابا - 00:25:12

لقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا يعني لا قيمة له وان كان ظاهره انه خير وقربة لله جل وعلا لكن لما لم يكن مسبوقا بالايمان بالله فلا فائدة فيه - 00:25:38

ثم قال الذين كفروا ثم قال والذين امنوا وعملوا الصالحات الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قيل نزلت في المطعمين يوم بدر وهم اثنى عشر من كبراء قريش كفارا ومنهم من اسلم - 00:26:03

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قال بعض المفسرين هم المطعمون يوم بدر اثنى عشر رجل من كبار والذين امنوا وعملوا الصالحات اي امنت قلوبهم وسرائرهم وانقادت جوارحهم وبواطنهم وظواهرهم - 00:26:25

وامنوا بما نزل على محمد يعني امنوا وعملوا الصالحات جمعوا صلاح الظاهر والباطن صلاح الظاهر بالاعمال الصالحة البينة وصلاح الباطن بالايمان بالله وامنوا بما نزل على محمد عطف خاص على عام - 00:26:50

وهو دليل على انه شرط في صحة الايمان بعد بعثته صلوات الله وسلامه عليه وقوله وهو الحق من ربهم جملة معترظة حسنة ولهذا قال كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم قال ابن عباس - 00:27:17

امرهم امرهم وقال مجاهد شأنهم وقال قتادة وابن زيد حالهم والكل متقارب يعني المعاني متقاربة حالهم اوامرهم او شأنهم كلها معناها متقارب نعم وقد جاءت في حديث تشميت العاطس يهديكم الله ويصلح بالكم - 00:27:42

ثم قال تعالى ذلك بان الذين ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم كأن قائلا يقول لما اولئك اظل الله اعمالهم - 00:28:11

وهؤلاء كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم الجواب ذلك بان الذين كفروا ذلك بسبب ان الذين كفروا اتبعوا الباطل اتبعوا الشيطان اتبعوا الضلال وان الذين امنوا محمدا صلى الله عليه وسلم - 00:28:38

فالباطل هو الشرك والضلال والكفر وكل ما لا خير فيه والحق هو التوحيد والايمان بالله ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فبسبب هذا العمل الصادر منهم حصل لهم ما حصل. اولئك اضل اعمالهم لانهم كفروا واعرضوا - 00:29:06

وهؤلاء اصلح الله شأنهم وامرهم لانهم اتبعوا الحق والله جل وعلا لا يظلم الناس شيئا وكما في الحديث القدسي ان الله جل وعلا يقول يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها. فمن وجد خيرا فليحمد الله - 00:29:37

ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه هو الذي عمل السوء فاخذ عقوبته هو ما ظر الله شيئا وانما ظر نفسه والمؤمن لا يعمل لغيره هو يحسن ويفعل الخير - 00:30:08

ويعمل الصالحات تعود له الاخر يعمل السيئات لا يظر الله شيئا. وانما يظر نفسه انما هي اعمالكم احصيها لكم. ثم اوفيكم اياها. فمن وجد خيرا فليحمد الله جل وعلا الذي وفقه - 00:30:29

ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه هو الذي اعرض عن الحق واتبع الباطل. هو الذي اعرض عن الايمان واتبع الكفر هو الذي خالف النبي صلى الله عليه وسلم واتبع الشيطان - 00:30:53

ثم قال ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل اي انما ابطلنا اعمال الكفار وتجاوزنا عن سيئات الابرار واصلحنا شؤونهم لان الذين كفروا

اتبعوا الباطل اي اختاروا الباطل على الحق والذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم. نعم. اي يبينوا لهم هذا التعبير - 00:31:15

هكذا يسميه العلماء علماء البلاغة من اللف والنشر المرتب حيث ان الله جل وعلا ذكر الكفار اولا ثم ذكر المؤمنين بعد ذلك. ثم قال عن الكفار لانهم هم السابقون في الذكر وقال ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل - 00:31:44

وان الذين امنوا اتبعوا الحق هذا الذي اعطوه بسبب اعمالهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم هكذا يبين الله جل وعلا الامر جليا واضحا للعباد يجعل الامر واظحا بين يظرب الامثال ويظهرها. ليكون المرء على بصيرة - 00:32:09

حتى اذا اتى يوم القيامة لا يقول ما علمت ان عملي السيء ذاك يورثني هذه المهالك وهذا القرار الامر جلي واضح لاهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة - 00:32:43

المؤمن يعمل الصالحات رجاء ثوابها يدخر لنفسه يجد ويجتهد كل الناس يغدوا فبائع نفسه فمعتقها وموبقها. واحد يسعى يركض لنجاة نفسه فيعتق نفسه من النار ويكون من اهل الجنة. واخر يسعى كلهم يسعون - 00:33:07

واخر يسعى في هلاك نفسه وفي تقييدها في نار جهنم والعياذ بالله. كل الناس يغدو فبائع النفس فمعتقها وموبقها كذلك يضرب الله للناس امثالهم يضرب لهم الامثال ويوضح لهم المآل والعواقب ليكونوا - 00:33:34

على بصيرة من امرهم انت اذا عملت خيرا اعمل لنفسك وتعرف وانت مؤمن واثق بانك ستنال ثوابه باذن الله والاخر والعياذ بالله الظالم يعمل السيئة يعرف انه معاقب عليها. الامر جلي واضح - 00:34:00

كذلك يضرب الله للناس امثالهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم ان يبينوا لهم مآل اعمالهم وما يصيرون اليه في معادهم والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد - 00:34:25

وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:34:48